الرزقي بن منصور شيخ قبيلة الحنانشة 1826- 1848

يعقوب خديجة ؛ فاطمة الزهراء قشي
جامعة قسنطينة2، Khedidja-yakoub@outlook.fr
جامعة قسنطينة2، fatima.guechi@univ-constantine2.dz

تاريخ الإرسال: 2018/04/03؛ تاريخ القبول: 2018/06/01

Abstract:

Rezgui Ben Mansour Sheikh Hanencha (1826-1848) was one of the most prominent sheikhs of the tribe in the 19th century. The Sheikh provided several services to the Beylik and to Hadj Ahmed Bey Constantine (1826-1837), which contributed to the security and elimination of the rebels.

The Sheikh also played military roles with the Bey in blocking the first French campaign on the city of Constantine in 1836, but his position on the Hadj Ahmed Bey has changed since rebellion against his authority, he opposed his allegiance to the occupation authorities, who "kept" him as a Sheikh on the same areas he had run in the previous era.

El Rezgui Ben Mansour and his participation in several local events in Beylik, the Algerian region, are present during the first half of 19th century, the issue of tribal elders' relationship with their tribe members, on the one hand, and the Ottoman rulers, and later the French, on the other.

Key words : Rezgui Ben Mansour; Sheikh; Tribe of Hanencha; 1826- 1848.

ISSN: 2170 -1822
EISSN: 2600-6189

الملخص:

يعتبر الرزقي بن منصور شيخ الحنانشة (1826- 1848م) أحد أبرز شيوخ القبيلة في القرن 19م. قدم الشيخ خدمات مخزنيةللبايلك وللحاج أحمد باي قسنطينة (1826- 1837م)، ساهمت في إحلال الأمن والقضاء على المتمردين.

كما قام الشيخ بأدوار عسكرية رفقة الباي في صد الحملة الفرنسية الأولى على مدينة قسنطينة سنة 1836م؛ غير أن موقفه من الحاج أحمد باي قد تغير بعدها، إذ تمرد على سلطته، عارضا ولائه لسلطات الاحتلال التي "احتفظت" به شيخا على نفس المناطق التي كان يديرها في العهد السابق.

وتطرح شخصية الرزقي بن منصور ومشاركته في العديد من الأحداث المحلية ببايلك الشرق الجزائري خلال النصف الأول من القرن 19م، مسألة علاقة شيوخ القبائل بأفراد قبائلهم من جهة وبالحكام العثمانيين ومن بعدهم الفرنسيين من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: الرزقي بن منصور؛ شيخ؛ قبيلة الحنانشة؛ 1826- 1848.

عايش شيوخ القبائل في بايلك الشرق الجزائري خلال القرن 19م عدة أحداث محلية وجهوية، على مستوى قبائلهم من جهة وعلى مستوى إقليمالبايلك من جهة أخرى. كما اثر الحكام العثمانيون الأواخر

على مؤسسة المشيخة القبليةومنهم الحاج أحمد باي قسنطينة (1826-1837م) الذي انتهج سياسة التفرقة بين أفراد القبيلة وشيوخها من أجل إحكام سيطرته على القبائل. ويعتبر الاحتلال الفرنسي ثاني حدث زعزعالبايلك بأسره، بتقويضنفوذ القبائل وشيوخها ولو بصفة تدريجية لطول المقاومة.

ومن بين هؤلاء الشيوخ الرزقي بن منصور شيخ قبيلة الحنانشة (1826- 1848م) الذي دعم الحاج أحمد باي في مقاومته الحملة الفرنسية الأولى ضد قسنطينة ثم انضوى تحت حماية سلطات الاحتلال بعد دخولهم المدينة والتفوق على الباي.

تم الاعتماد في هذا المقال على الدراسات السابقة والوثائق الأرشيفية في تونس والجزائر قصد تفهم آليات الحكم وما يجعل بعض الأعيان يحافظون على مكانتهم رغم تغير نظام الحكم وتباين الظروف واختلاف أصول الحكام. هل يكمن التفسير في أسلوب تعامل الحكام مع هذا أو ذاك من الأعيان حسب وزنه وعلاقته بقبيلته ومدى قربه من السلطة.فمن هو الشيخ الرزقي بن منصور؟ كيف وصل إلى المشيخة؟ وكيف يمكن فهم مواقفه قبل وبعد الاحتلال بالنظر إلى الصراعات القبلية الظاهرة والكامنة؟

وللإجابة على هذه الأسئلة نتناول بالدراسة جوانب مؤثرة من مساره تتمثل في:

- مشيخة الحنانشة وعلاقتها مع باي قسنطينة

- مجال نفوذ القبيلة والصراع حول المشيخة
- موقف الرزقي: من مقاومة الفرنسيين إلى الولاء لهم

1. مشيخة الحنانشة وعلاقتها مع باي قسنطينة

كان أفراد قبيلة الحنانشة يطلقون لقب الوزير على كاتب شيخ القبيلة (Leila Babes, 1984 : 270). وكان لكتاب الشيوخ منذ القرنين 16 و17م مكانة هامة عند شيخ الحنانشة، فهو الذي يزوجهم ويكسوهم ويعطي لهم خيمة وعبيد مثلما حدث لـ الهادف الفطناسي، مستشار شيخ الحنانشة، وكان هذا الكاتبيشرف ويراقب كل قضايا القبيلة من بيع وشراء، مقابل هدايا يقدمها له سكان القبيلة (محمد العدواني، 2001 : 211).

وقد أخذ شيوخ الحنانشة كتابهم ومستشاريهم من قبيلة ويلان العربية على غرار أسرة أحمد بن علي التي توارثت هذا المنصب في العهد العثماني. وعند تفرع مشيخة الحنانشة إلى فرعين انحازت أسرة أحمد بن علي إلى فرع "منصر"، أما أسرة الرزقي وأولهم الرزقي بن منصور فانحازت إلى فرع "نصر"، وكلتا الأسرتين من قبيلة ويلان (AWC, TribuOuillen : Pv 179).

كان الشيخ الزرقيالأب اسمه منصور بن رزقي، كان كاتبا طالبا لقبيلة ويلان، وقد قطع الباي رأسه حوالي سنة 1796م، بسبب ارتكابه جريمة قتلفي حق الموهوب بن محمد، شيخ الحنانشة من فرع منصر(CharlesFéraud,1874 : pp 258-261). من المرجح إذن، أن

الابن بعد مقتل أبيه قد عمل على تكوين تحالفات ومعارف مع العائلات القبلية المتنفذة ومع الحكام وأفراد المخزن، وهو ما سيمكنه من تولي الوظيفة لاحقا.

تظهر عائلة الرزقي في دفاتر الإحسانات منتصف القرن 18م وتحديدا سنة 1170هـ/ 1756م حيث نال أجداده امتيازات هامة من قبلبايات تونس؛ وقد جاءت في إطار الوفادات بين إبراهيم شيخ الحنانشة (1755- 1772م) وبايات تونس؛ حيث كان من مهام الكتاب في تلك الفترة إرجاع رعايا القبيلة الذين تنقلوا إلى البلاد التونسية. يتوجه الكاتب منهم إلى بلاط الباي التونسي من أجل تسوية تلك المسألة في عين المكان (الأرشيف الوطني التونسي، الدفتر2144، 1756- 1779: 210).

وقد ولد الشيخ الرزقي سنة 1784م، وكان يتمتع بالقوة والطموح، وأسندت إليه السلطات الفرنسية قيادة قبيلة الحنانشة تحت منصب "قايد"، وكان في حالة عداء كبير للشيخ محمد الحسناوي بسبب تنافسهما على مشيخة الحنانشة (A. O. M. 10 H 66 : 15.)، وخاصة بعد وصول الحاج أحمد باي على رأس البايلك سنة 1826م؛ حيث قام الباي بعزل الشيخ محمد الحسناوي الذي كان على رأس مشيخة الحنانشة وعوضه بصديقه الوفي الشيخ الرزقي بن منصور(ناصر الدين سعيدوني، 2001 : 61).

تعرف الرزقي بن منصور كاتب شيخ الحنانشة على احمد بن الشريف بن احمد باي القلي عندما عُيّن هذا الأخيرقائدا للعواسي أي حينما تولى قيادة الحراكتة وكل منهما في سن العشرين. وكان القائد يمارس هواية الصيد في أراضي قبيلة الحنانشة فكان لهما لقاءات وتم التقارب بين الشخصين.

وبعد عقدين، عندما أصبح احمد بن الشريف بايا وحاكما على قسنطينة (سنة 1826)، ذهب إليه الرزقي بن منصور لتهنئته وتأكيد أواصر الزمالة. فأحسن الباي ضيافته وطلب منه أن يساعده لكي يتخلص من شيخ قبيلة أولاد يحي بن طالب (أنظر التعليق رقم 1)، والتي كانت متمردة على سلطة الأتراك في ذلك الحين (261- 260 Charles Féraud,1874 : pp).

كما واجه أحمد باي في بداية عهدته على البايلك تمرد قبيلة الحنانشة(Louis Rinn,1898 : 297)، وكان على رأس الأحرار من فرع نصر الشيخ علي، وقد طلب الشيخ الرزقي بن منصور من الباي أن يقضي على الشيخ المتمرد؛ فلبى الباي طلبه واعتقل الشيخ علي مع كل عائلته .، وسجنه في قسنطينة متهما إياه بإتباع سلوك الشيخ الزين بن يونس الملتجئ إلى الأراضي التونسية. وعين الباي الرزقي بن منصور شيخا على رأس الحنانشة سنة 1826مبعد أن أخضعهم عنوة (: 364Charles Féraud,1874). كما اتهم أحمد باي الشيخ علي بالخيانة ومحاولة الانفصال عن سلطة باشا الجزائر، الأمر الذي أدى إلى استدعائه إلى مدينة الجزائر حيث فرضت عليه الإقامة الجبرية (جميلة معاشي، 2007 : 161).

ويفسر أحمد باي في مذكراته سببتعيينه الشيخ الرزقيعلى رأس الحنانشة، أن هذا الأخير كان وعده هو (الباي) وخاله بوعزيز بن قانة بدفع أموال لهما مقابل نيله الوظيفة (محمد العربي الزبيري، 2009 :43).إلا أن الباي لا يؤكد استلام هذه الأموال والتزام الشيخ بوعده.

بل عبارة الوعد تنفي تسديده في الواقع. وما اعتراف الباي بهذه الصفقة إلا تأكيد على شيوع الممارسة التي تتأرجح بين الهدية والرشوة وشراء المناصب بصيغة اللزمة.

تكرر تمرد قبيلة الحنانشة الثائرة على سلطة البايلكفي سنة 1827م، وهدّدتبدخولها تحت حماية باي تونس والتبعية له إن بقي الرزقي بن منصور في مشيختهم. وكان يقودهم في تمردهم هذا الحاج مبارك المنحدر من عائلة أحمد بن علي، الكاتب الأول للأحرار وهو ليس منهم.(Charles Féraud,1874: 365-366)).

كما احتج أفراد القبيلة على سجن الشيخ علي بغير حق. فلم يصغ الباي إلى شكواهم وشن عليهم حملات عسكرية فشتتهم واستولى على كثير من أنعامهم في نفس السنة حسب إحدى الوثائق المرسلة من احمد باي إلى باشا الجزائر بتاريخ 29 رجب 1242هـ/ الموافق لـ 25 فيفري 1827م (المكتبة الوطنية الجزائرية، مج 1642: 15)؛ وبقيت قبيلة الحنانشة منذئذ متمردة على باي قسنطينة وتبعتها في ذلك قبائل أخرى مثل النمامشة(Charles Féraud,1874 : 365-366).

وفي نفس الرسالة التي بعثها الحاج أحمد باي إلى حسين باشا الجزائر،أثنى فيها الباي على ولاء الرزقي بن منصور نحو البايليك في الوقت الذي تمرد فيه الفرع الخصم من الحنانشة. وجاء فيها ما نصه: "...واعلم سيدي أسعدك الله أن الرزقي من حين جاءنا وحضر بين يدينا لم يخرج عن طاعة ولا غيب وجهه عنا، قد وقع الصلح بينهم وان الحاج

مبارك وجماعته لم يقبلوا الصلح ولم يذعنوا بل لم يظهر لي منهم نصح ..."(المكتبة الوطنية الجزائرية، مج 1642: 15).

ويظهر من خلال هذه الرسالة أن الباي كان يحيط حسين باشا الجزائر آنذاك بكل التفاصيل التيعرفتها قبيلة الحنانشة وعلاقتها بالسلطة، كما أن من أولويات البايلك آنذاك تعيين الشيوخ الذين يسيرون وفق مصالح الحكام حتى وإن كانوا من خارج القبيلة أو من خارج الأسرة التي توارثت المشيخة لقرون عديدة. إن تعيين الشيخ الرزقي هو ضرب للاتفاق الذي عقده البايات الأتراك مع شيوخ عائلة الأحرار منذ القرن 16م (ابن العطار، 2011: 124).

بعد انتفاضة القبائل النافذة في بايلك الشرق (1637-1642) والتي تكبدت فيها محلات البايلك المدعومة بفرق من باشا الجزائر خسائر كبيرة، تغيرت موازين القوى وأبرمت اتفاقية بين أطراف النزاع مفادها الاعتراف المتبادل بين شيوخ القبائل "الحاكمة" وباي قسنطينة (الجديد) تحت رعاية باشا الجزائر. كما أعيدت صياغة المراسيم والتشريفات لإظهار الاعتبار لشيخ العرب وشيخ الحنانشة. ومثلما يُرسل السلطان القفطان إلى الباشا، كذلك يفعل باشا الجزائر مع بایاته الثلاثة، حكام المقاطعات. واستحدثت تلك المراسيم بحضور كل شيخ إلى قسنطينة ولبس الخلعة كرمز للمكانة المتساوية بينه وبين الباي.وكان من بنود الاتفاق أن يكون الحُكم على مدينة قسنطينة وأريافها من نصيب الباي الممثل لباشا الجزائر، ويتقاسم الذواودةوالحنانشة شرق البايلك وجنوبه وبقي غربه لأسرة المقراني من بني عباس؛ وإن لم تكن طرفا في الاتفاقية

ISSN: 2170 -1822
EISSN: 2600-6189

فقد حافظت على مجالها وأراضيها. (فاطمة الزهراء قشي، 2017: تحت الطبع).

وعليه، لقد أخلف البايات بهذا الوعد وأخلّوا بقاعدة احترام الحكم الوراثي داخل سلالة أحرار الحنانشة، فارضين ولاء الشيخ إلى الباي مهما كان انتماء الشيخ الطالب للوظيفة والمشيخة. فرفض أفراد القبيلة لهذا التعيين جاء في ظل التغيرات التي عرفتها قبيلة الحنانشة آنذاك، وما تابعها من انهيار متواصل جراء الصراع داخل الزمرة الحاكمة من جهة، وإضعاف البايات لحكم الشيوخ من جهة أخرى، عن طريق القتل والعزل وهو ما أدى بالقبيلة إلى الفرارمن مجالها الجغرافي إلى خارج نفوذ الباي وأعوانه. وما قام به الباي أحمد مع الحنانشة كان قد بدأه جده أحمد باي القلي (1756–1771) بنقله عائلة ابن قانة المغمورة من شمال البايلك إلى بسكرة وتنصيبها على مشيخة العرب لمنافسة قبيلة الذواودةبوعكازالعتيدة المتحكمة في طرق القوافل التجارية على مشارف الصحراء (فاطمة الزهراء قشي، 2017 : تحت الطبع).

زيادة على المنافسة بين القبائل والأسر، أدخل أحمد باي –في سياق مقالنا– الصراع بين أبناء القبيلة وكتابهم من أعراش تابعة برفعهم إلى المشيخة، مما أجج العصيان على البايلك والخلافات بين الفرق.

2. مجال نفوذ القبيلة والصراع حول المشيخة

كان الشيخ الرزقي في عهد الحاج أحمد باي (1826– 1837م) يمارس سلطته من داخل القبيلة الرئيسية بعرش الحنانشة التي توفر له

ISSN: 2170 -1822
EISSN: 2600-6189

حوالي ألفي فارس، ويُعدمن بين الموظفين ذوي المكانة العالية في البايلك إذ يتسلم القفطان من الباي نفسه، كما تعزف له الموسيقى وهو على رأس فرسانه وله حاشية تمثلهفي بلاط الباي بمدينة قسنطينة. وكان مجال نفوذه شاسعا جدا وكان يدفعمبلغ خمسة عشر ألف (15.000)بوجو نظير منصبه كحقوق التولية (A. M. G. H 226,).

ويدير شيخ الحنانشةستة عشر قبيلة كانت تقطن الجبال؛ وللشيخ مخزن يسمى زمالة الشيخ أو مزارقية الشيخ، يقومبجمع الضرائب من القبائل التابعة له، كما تخضع له العديد من القبائل التي تحتل حيزا جغرافيا واسعا يمتد من القالة وعنابة شمالا إلى تبسة في الجنوب الشرقي.

كما تهيمن قبيلة الحنانشة على الطريق التجاري الرابط بين تونس وقسنطينة(T. E. F, 1840: 319)..

الأعراش المكونة لقبيلة الحنانشة		
– حنانشة أو مزارقية	– رعايا بلد تيفاش	– جبال المشاعلة
– النبايل	– أولاد بشيح	– بني صالح
– أولاد مسعود	– أولاد دهية	– المقانعة
– أولاد مومن	– الشيابنة	– أولاد سيدي عيسى
– بني بربار	– أولاد خيار	– العيايشة
– بني موزلين		

جدول رقم 1: القبائل الخاضعة لشيخ الحنانشة في عهد الحاج أحمد باي المصدر: (T.E.F.et A. M. G. H 226)

يتضح، من خلال هذا الجدول، أن هناك عددا هامامن القبائل التي كان يحكمها الشيخ الرزقي تحت ولاية الحاج احمد باي وقد استمر في إدارتهاتحت حكم الاستعمار الفرنسي، وبقي عددها نفسه (16 قبيلة)، وحددت السلطات الفرنسية عدد فرقها و المساحة الإجمالية لكل قبيلة، بالإضافة إلى عدد سكانها وفرسانهافي تقرير أعدته سنة 1844م (A. O. M. F80.549 : 105).

في محاولة يائسة لاسترجاع حكم الأسرة قام كل من الشيخين طراد بن نصر والحسناوي بن احمد بثورة ضد الرزقي بن منصور باعتباره مغتصبا للمشيخة، بسبب تعيينه من طرف الباي دون موافقة أفراد القبيلة، الأمر الذي اضطر الشيخ الرزقي إلى الفرار بأسرته نحو قسنطينة طالبا النجدة والحماية من صديقه الحاج احمد باي، إلا أن هذا الأخير لم يستطع التدخل لفض النزاع وكان قد علم بالحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1245هـ/ 1830م (جميلة معاشي، 2007: 162) وهو يستعد لتقديم الدنوش (أنظر التعليق رقم 2).

بقي الرزقي بقسنطينة وعادت مشيخة الحنانشة إلىطراد بن نصرحتى وفاته سنة1247هـ/ 1833م، ثم تولاها الحسناوي بعده. لكن أحمد باي- وهو يعيد ترتيب البايلك استعدادا لمواجهة المحتلين الفرنسيين، افتك المشيخة من الحسناوي الذي رفض تلبية نداء الباي لمقاومة الاحتلال. فاتهمه الباي بالخيانة وأقاله من منصبه ومنح منصب الشيخ مرة أخرى إلى صديقه الرزقيبن منصور الذي شارك بقواته في

الدفاع عن مدينة الجزائرإلى جانب الحاج احمد. (جميلة معاشي، 2007 : 162). فكانت ظرفية مناسبة له.

كان أفراد قبيلة الحنانشة غير راضين عن المؤامرات التي كان يحيكها الشيخ الرزقي مع الباي، ولم يكن لأحد أن يرفع صوته ضد الرزقي، باستثناء الشيخ الحاج المبارك الذي عارضه، غير أن أبناء العم الشيخ البوخاري والشيخمحمد الحسناويين احمد اللذين كانا شابين ويتمتعان بشخصية قوية وبذكاء يعتبران أيضا أعداء الشيخ الرزقي.فدخلا في صراع معه معلنين الثورة ضدمن غدر بالشيخ الحاج مبارك سنة 1830م، وحاولا استرجاع المشيخة التي منحها له الباي على فرع نصر في نفس السنة(Charles Féraud,1874 : 365).

أما عن تفاصيل حادثة مقتل الحاج مبارك شيخ الحنانشة -الفار أو الهارب إلى الأراضي التونسية- ، فقد كاتبه الباي وأوهمه بأن الشيخ الرزقي رجل دون قيمة ولا يستطيع تولي القيادة، وقد رأى أن يعيد إلى المشيخة صاحبها الشيخ الشرعي والوراثي. أعطي الباي الأمان للمتمرد مقابل نسيان الماضي وطلب منه المجيء إلى محلته أو زمالته بمرج كوحيلعلى الحدود الجزائرية التونسية، بهدف منحه تولية مشيخة قبيلة الحنانشة(Charles Féraud,1874: 368).

وثق الحاج المبارك بكلام احمد باي وأرسل له خطابا يخبره بقبول عرضه.في طريق العودة إلى قسنطينة، وفي الموعد المحدد للالتقاء بين الشيخ والباي، حضر الشيخ الحاج مبارك إلى محلة الحاج احمد باي رفقة شباب

قبيلة الحنانشة لإقامة حفلة بمناسبة هذا الحدث. وجاء مع الشيخ حوالي مائة وعشرين فارسا، وأقيمت الاحتفالات في الظهيرة بين فرسان الباي وفرسان الشيخ على أنغام الموسيقى. تم تقديم الطعام ثم قسم فرسان الحاج مبارك إلى مجموعات في الخيام :Charles Féraud,1874) (368-369، ومع مغيب الشمس أُعطي الأمر لقائد المقصورة، علي البسكري، بالانقضاض عليهم وإطلاق الرصاص على فرسان الحاج مبارك من كل الجهات. وكانت النتيجة سقوط العديد من القتلى وسيق الباقون كمساجين. ختم فيرو رواية الحادثة بوصف الحاج احمد باي بالرجل الفظ لقتله فرسان شيخ الحنانشة غدرا.أدخل احمد باي الحاج مبارك والشيخ البوخاري إلى السجن. في تلك الظروف تولى الرزقي مشيخة الحنانشة كما استولى على نساء وأطفال الحاج مبارك (Charles .Féraud,1874 : 368-369)

وبنفس الأسلوب قضىأحمد باي على الشيخ طراد بن نصر والشيخ عمانة بن سلطان اللذين سجنا في قسنطينة لبعض الوقت قبل قتلهما (Charles Féraud,1874 : 368-369)وكلاهما من أسرة أحرار الحنانشة العائلة الحاكمة للقبيلة.ومن المرجح أن للشيخ الرزقي دورا كبيرا في هذه المكيدة التي حاكها الباي ضد شيوخ الحنانشة، لتمكينه هو المنصب.

رغم احتلال مدينة الجزائر سنة 1830م، وتغير الوضع السياسي في الإيالة، استمرت قبيلةالنمامشة في رفض الخضوع إلى السلطة، ولم تدفع فلسا واحدا طيلة أربع سنوات. وفي سنة 1834م وصلتمعلومات

إلى الباي مفادها أن قبيلة النمامشة تجمعت في بحيرة الأرنب بجوار عين الصابون وفيها حوالي 1500 من المشاة و 3000 من الفرسان.فعزم احمد باي على غزوها بتواطؤ من الرزقي، وتمت مباغتة قبيلةالنمامشة وتعرضت دواوير العلاونة والبرارشة إلى النهب، حيث غنم احمد باي 30 000 رأس من الغنم و 200 جمل وقتل أكثر من 150 ما بين رجل وامرأة (بيار كاستال، 2010: 178).

كما كان الشرط الأول الذي وضعه حسين باشا لتعيين احمد باي على رأس بايلك الشرق هو القبض على الشيخ الزين بن يونس شيخ الدير بضواحي تبسة، الذي كان يفر إلى الايالة التونسية رفقة قبيلته، وكان الباي يعرف الشيخ معرفة شخصية لأنه كان يخرج معه إلى الصيد رفقة الشيخ الرزقي بن منصور في تبسة، في مرحلة الشباب.

حيكت مؤامرة اغتيال الشيخ الزين بن يونس، فقد سار الرزقي بن منصور إلى جبل الدير يترجى الشيخ القيام بزيارة الباي مؤكدا له أن الباي الجديد صديقه القديم قد عفا عنه وأنه يريد أن يثبت للديوان أن سكان البايليك قد استقبلوه جميعا بالترحاب. أرسل الشيخ الزين بن يونس الذي انطلت عليه الحيلة ابنه رفقة الرزقي ليعلم الباي أن أباه سيتقدم إليه. قدم الباي هدايا لابن الشيخ، الأمر الذي طمأن والدَه فسار إلى الباي في عين البيضاء واستقبله الرزقي بن منصور وخرج معه إلى الباي الذي كان معسكرا في مداوروش. وما إن وصل المكان المذكور حتى ألقى عليه الباي القبض وأرسله إلى مدينة الجزائر أين وضع في

فوهة مدفع في القصبة وأطلقت النيران عليه. (Charles Féraud,1874 : 365-364).

يتضح مما سبق أن المشيخة قد أصبحت محل صراع دموي بين الفرق والأسر وحتى الأفراد من العائلة الواحدة وأضحت، فيأواخر العهد العثماني، رهينة نوعية الهدايا المقدمة إلى الباي وحاشيته مقابل التعيين في المنصب. كما لجأت السلطة إلى مصادرة الأملاك والتقتيل لزعزعة هيبة القبيلة والتحكم في تسييرها، فضعفت العصبية القبلية ونخوتها، فوجد الفرنسيون منفذا لضرب أحمد باي (وغيره من المقاومين للاحتلال) أولا باستقطاب خصومه وأعدائه والناقمين عليه من شيوخ القبائل. ثم ضرب القبائل بعضها البعض. وما مسار الرزقي إلا نموذجا معبرا.

3. موقفالرزقي:من مقاومة الفرنسيين إلى الولاء لهم

تباينت مواقف القبائل وشيوخها من الاحتلال الفرنسي، فلئن أرسلت معظم قبائل البايلك عددا من جنودها للانضمام إلى جيش الباي لمقاومة الإنزال الفرنسي في سيدي فرج سنة 1830م، غير أن قبائل الحنانشةوالنمامشةوالحراكتة، رفضوا تقديم الدعم بسبب عدم استعدادهم ولعدم تعاطف القبائل الحدودية مع أتراك الايالة (Charles Féraud,1874 : 366).

بالنسبة لدور الشيخ الرزقيين منصور أثناء توجه الباي لصد الحملة الفرنسية على مدينة الجزائر، فقد يرجّح أن يكون هذا الشيخ قد

شارك مع الباي في صد هذه الحملة نظرا لعلاقة الصداقة التي كانت تربطهما آنذاك (العياشي روابحي، 2014: 51)، كما شارك في صد الحملة الفرنسية الأولى على مدينة قسنطينة سنة 1836م (محمد العربي الزبيري، 2009 : 48- 49)؛ سجل الباي حضوره بجانبه دون ذكر عدد فرسان الشيخ الرزقي.

وبعد فشل القوات الفرنسية في حملتها الأولى على مدينة قسنطينة سنة 1836م وانسحابها مهزومة، وعند وصولها إلى المكان المسمى برأس العقبة بين وادي زناتي وقالمة، هاجم الشيخ الرزقي ومعه قوة مشكلة من 400 فارس القوات الفرنسية، موقعا بها خسائر جسيمة (جمال ورتي، 2010: 59). وبهذا كان الشيخ قد ساهم بشكل كبيروواضح في صد العدوان الفرنسي عن مدينة قسنطينة.

غير أنّ الباي أمر بتوقيف الشيخ الرزقي متهما إياه بالتقاعس وعاب عليه عدم تجنيد كل ما يملك من فرسان لمواجهة الفرنسيين؛ بعدهاأرسل الشيخ الرزقيابنه الطاهر من أجل طلب العفو، لكن العلاقة بين الرجلينقد ساءت كثيرا. فتمرد الشيخالرزقي وفضّل الفرار إلى مدينة الكاف والتموقع بها استعدادا للطوارئ.بعثالباي رسالة إلى كاهية الكاف يأمره بالقبض على الشيخ الرزقي، فكان من الشيخ أن اتجه بعد ذلك إلى مدينة عنابةحيث اتصل بالحاكم العام الجنرال ﴿دامريمون﴾ عارضا عليه خدماته،فتعهد له بتوفير الأمن للجيش الفرنسي عندما يمر بإقليم الحنانشةمتوجها إلى مدينة قسنطينة لاحتلالها.

ويرجع تعاونه مع السلطات الفرنسية إلى مضايقات كاهية الكاف الذي كان يلاحقه بأمر من الحاج احمد باي، بالإضافة إلى متابعة الشيخ الحسناوي له بترصد كل حركاته (Charles Féraud,1874 : 372)

.

بعد الانتصاب الفرنسي في قسنطينة نهاية سنة 1837م، أسند الماريشال فالي دائر قالمة إلى إبراهيم ابن الشيخالرزقي بن منصور، وأضيفت له مناطق أخرى استعصت على السلطات الفرنسة وهي سوق أهراس وتبسة (العياشي روابحي، 2014: 111).وتم تعيين أبيه الشيخ الرزقي بن منصور قائدا على الحنانشةبمقتضى مرسوم 30 سبتمبر 1838م (أحمد سيساوي، 2014: 144).

وقد ذكر فيرو أن الماريشال فالي أسند منصب إدارة قالمة إلى عائلة الرزقي قبل سنة 1837م، وتحديدا عندما كان الفرنسيون يتجهون لاحتلال قسنطينة، حيث التقى بالطاهر الرزقي نجل الشيخ الرزقي الذي تسممت علاقته بالحاج احمد باي في مدينة قالمة، فسلمه طابعاوبرنوس التولية وكلفه بتسليمهما إلى والده (Charles Féraud,1874 : 372).

كما أنشأ الفرنسيون زمالة قيادة عائلة الرزقي وأسندوا قيادتها إلى القايد أحمد صالح الرزقي نجل آخر للشيخ الرزقي؛ وتقع الزمالة على بعد تسعة كلم من دائرة (سوق أهراس) ومائة وستة عشر كلم عن مقر الإقليم (بعنابة). وتحدها من جهة الشمال قبائل أولاد علي بن ناصر

وكيسانة وقبائل مغانة والعوايد وأولاد الشيخ، ومحاية غربا، ويحدها من جهة الجنوب (دائرة قسنطينة)، وأما من الجهة الشرقية فيحدها (إقليم سوق أهراس) (العياشي روابحي، 2014: 111).

كما قدم الشيخ الرزقيبعض الخدمات للسلطات الفرنسية بسبب مدة حكمه الطويلة وتمتعه بخبرة وذكاء حاد، وقد أكدت التقارير الفرنسية على صراعه المستمر مع الشيخ الحسناوي آنذاك (A. O. M. 10 H .66)، كما نقل الشيخ الرزقيزمالته سنة 1839م إلى قالمة حيث بقي هناك حتى مجيء الماريشال بيجو إليها في 23 فيفري 1841م، و الذي وعده الجنرال بتعيينه على الحنانشة الذين كانوا في تلك الفترة تحت قيادة الشيخ الحسناوي (جمال ورتي، 2010: 65).

في خضم الصراع بين القبائل الحدودية، كان شيوخها يغيرون على قبائل الإيالة المجاورة. شنّ الشيخ الرزقي إحدى الحملات على قبيلة ورغة التونسية؛فاشتكاه شيخها في مراسلة إلى القنصل الفرنسي بتونس والحاكم الفرنسي على قسنطينة طالبا منهم إيقاف الشيخ الرزقي عن هذه الأعمال. ورد هذا في مراسلة ذي القعدة 1262هـ/ 1846م (الأرشيف الوطني التونسي، م235، ص212، وثيقة 4) جاء فيهاما يلي: "...أمر أولاد خيار رعية الغرب بالحرث في ورغة من تراب عمالتنا وذكر لهم أنها من عمل الغرب (الايالة الجزائرية) والواقع خلاف ذلك... فأعلمناكم تخبر الجنرال يكف الرزقي عن الأسباب الموجبة لهرج عربان الفريقين لأننا حال واحدة..." (الأرشيف الوطني التونسي، م235، ص212، وثيقة 4).

ساهمت هذه الأحداث في إضعاف الشيخ واضمحلال نفوذه بعد سنة 1837م. تفرق من حوله الأتباع بسبب دخوله تحت طاعة الفرنسيين، في وقت كان فيه باي الشرق يبذل قصارى جهده لمحاربة الجيش الفرنسي رفقة بعض شيوخ القبائل الأخرى.

ويرجح أن تكون هذه الغزوة آخر مهمة للشيخ قبل انسحابه من ميدان المواجهة؛ فترك أبنائه في إدارة شؤون القبيلة خدمة للسلطات الفرنسية؛ وقد توفي الشيخ الرزقي سنة 1848م (جمال ورتي، 2010: 73).

الخاتمة:

عايش الشيخ الرزقي وهو من أتراب احمد باي سنا، فترة عصيبة ومضطربة، وشغل منصب المشيخة في ظل حالة من التمرد المستمر التي عرفتها قبيلة الحنانشة بفرعيها والقبائل الحدودية، في بداية عهد أحمد باي.

لعب الشيخ الرزقي بن منصور دورا كبيرا في زعزعة توارث المشيخة في قبيلة الحنانشةأبناء أسرة الأحرار ولم يكن منهم. وهذا ما قلب ضده معظم أفراد القبيلة برفض الاعتراف به رغم تعيينه من قبل احمد باي بل عارضوه وحاربوه. رغم مساندته الباي في حملاته ضد المحتلين الفرنسيين إلا أنه حوّل ولائه نحو السلطات الفرنسية قبل احتلالها مدينة قسنطينة سنة 1837م.فنال المشيخة، هذه المرة، على أيدي الفرنسيين.وتقاسم إدارة المنطقة مع أولاده الثلاثة مدة تسع سنوات قبل أن ينسحب ويركن للراحة سنتين قبل وفاته. غير أن مهام الشيخ ودوره كان في تراجع مستمر بسبب اعتماد السلطات الفرنسية على أبنائه

ISSN: 2170 -1822
EISSN: 2600-6189

في قيادة قبائل منطقة قالمة وسوق أهراس من جهة؛ وعملها على الحدّ من نفوذ الأعيان والشيوخ المحليين تدريجيا، و ذلك بتولي ضباط الجيش الفرنسي إدارة القبائل مكانهم من جهة ثانية، فضلا عن تعيين قياد من خارج القبيلة لتقويض نفوذ شيوخ القبائل التقليدي. ومنهم الشيخ الرزقي الذي ساعد الحكام – أحمد باي ثم السلطات الفرنسية- على تكرّيس مبدأ فرق تسد، وساهم بذلك في المساس بسمعة المشيخةوشرف من يقوم بها، خاصة تحت حكم الاحتلال.

التعليقات والشروح:

التعليق رقم 1:قبيلة أولاد يحي بن طالب: مجالها بالقرب من تبسة، وتسمى أيضا بالدير، وكان يديرها الشيخ الزين بن يونس.

التعليق رقم 2: تكشف مراسيم الدنوش عن علاقة عقد التولية الذي يربط الباي بالباشا. فهو عقد رجعي يمكن فسخه من طرف واحد ولكنه يخضع لتقرير علني أساسه نجاح الباي في مهمته. وقدوم الباي شخصيا لتقديم فروض الطاعة مع الضرائب المفروضة عليه لمدة ثلاث سنوات يعتبر مثولا لامتحان دوري أو موسمي (فاطمة الزهراء قشي، 2005 : 99- 104)

قائمة المراجع:

- ابن العطار احمد المبارك، (2010). تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق وتقديم وتعليق حمادي عبد الله، قسنطينة: دار فائز للطباعة والنشر والتوزيع.

- الأرشيف الوطني التونسي، الدفتر 2145، بيان لما احتوت عليه دفاتر بيت خزندار من الإحسان والصدقات و "العوايد" لفائدة سائر أماكن البلاد والهدايا الموجهة إلى بلدان أجنبية أهمها الجزائر والدولة العثمانية...الخ، تاريخ 1191/ 1777-1778 إلى سنة 1197/ 1782-1783م.

- الأرشيف الوطني التونسي، الدفتر 2144، الإحسان (الصدقات والهدايا) المقدمة للبعض من سكان سائر أماكن البلاد وبعض الزوايا والبلدان المجاورة: الجزائر والمغرب والصحراء، تاريخ 1170-1192هـ/ 1756- 1779م.

- الأرشيف الوطني التونسي،الملف 235، الصندوق212،مراسلات وحجج في شأن الاغارت بين العروش الجزائرية وعرش ورغة بالبلاد التونسية، وثيقة رقم 4.

- العدواني محمد بن محمد بن عمر، (2001). تاريخ العدواني، تقديم وتحقيق وتعليق سعد الله أبو القاسم، الجزائر: عالم المعرفة.

- بيفايفر سيمون، (1998). مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ط1، الجزائر: دار هومة.

- الزبيري محمد العربي، (2009). مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

- كاستال بيار، (2010). حوز تبسة، دراسة وصفية جغرافية تاريخية لإقليم تبسة واعراشه من فجر التاريخ إلى بداية القرن العشرين، تعريب وتحقيق وتقديم عقون العربي، الجزائر: مطبعة بغيجة حسام.

- دالي حمادي، (2003-2004). النفوذ المحلّي بالبلاد التونسية وتشكّل الدولة الترابيّة 1574م- 1877م، قراءة في العلاقة بين القبيلة والزاوية والبايليك، أطروحة الدكتوراه في التاريخ، جامعة تونس الأولى، تونس.

- سعيدوني ناصر الدين، (2000). ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

- سيعدوني ناصر الدين، (2001). الجزائر منطلقات وآفاق، مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط2، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

- سيساوي أحمد، (2013- 2014). البعد البايلكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية من فالي إلى نابليون الثالث 1838-1871م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 2. الجزائر.

- روابحي العياشي، (2014- 2015). الإدارة الاستعمارية وعلاقتها بالعائلات الكبرى في مقاطعة قسنطينة 1837-1871م، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 2، الجزائر.

- قشي فاطمة الزهراء، (2017). "السلطة العثمانية والزعامات القبلية والحضرية في إيالة الجزائر (16 -18م)"، ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر السنوي الرابع للدراسات التاريخية، من مرج دابق إلى معاهدة سايكس-

بيكو(1516- 1916)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،21-22 أفريل 2017، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

- قشي فاطمة الزهراء، (2005). قسنطينة في عهد صالح باي البايات، قسنطينة، الجزائر: ميديا بلوس.

- معاشي جميلة، (جوان 2007). "أسرةأحرارالحنانشة بين بايات قسنطينة وبايات تونس"، المجلة التاريخية المغاربية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، العدد 128، ص.ص 147-162.

- معاشي جميلة، (2015). الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ/ 16م إلى 13هـ/ 19م، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

- المكتبة الوطنية الجزائرية، المجموعة 1642، وثيقة رقم 15، وثيقة رقم 28.

- ورتي جمال، (2010). تطور نظام الإدارة الفرنسي في عمالة قسنطينة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر سوق أهراس نموذجا (1843-1900)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، ج1، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.

-Archivesde la Wilaya de Constantine, Procès- verbaux du Sénatus Consulte, Historique de la Tribu, Tribu Ouillen. PV 179.

-ArchivesOutre Mer, Aix en-Provence. F80. 549. Subdivision de Bône, Commandement des Hanencha, n 105.

- Archivesd'Outre Mer, Aix en-Provence 10 H 66.

- Archivesdu Ministère de la Guerre, H 226.

- Babes Leila, (1984). Mythe d'origine et structures tribales dans le Constantinois sous domination turque Essai sur le fondement du pouvoir politique, Thèse pour le doctorat de 3e cycle, spécialité études politique présenté par Babes Leila, Aix- en- Provence, France.

- Féraud Charles, (1878). Les Harar Seigneurs des Hanencha, étudehistorique sur la province de Constantine, In Revue Africaine, n° 18, pp. 11-396.

- Ministère de la Guerre, (1841). Tableau de la situation des établissements Français dans l'Algérie en 1840, Paris, imprimerie Royale.

- Rinn Louis, (1898). Le royaume d'Alger sous le dernier Dey, In Revue Africaine, n° 42, pp. 6-309.